كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية - جامعة تلمسان -	النص التوراتي و ميثولوجيا المقدّس	أ. عبد القادر لصهب

يتأسس النص التوراتي على انبثاق المقدّس من الميثولوجي في علاقة جدلية بين الأسطورة والوحي ، وهذا راجع حسب الدراسات التي تناولت تاريخ النص التوراتي إلى فقدان اليهود للنسخة الأصلية للنص ، وهو ما يفسر حلول الأسطورة محل الشريعة في العديد من أسفار العهد القديم ، فالأسطورة ما هي إلا «تفسير للعرف الديني , وما كان هذا التفسير لينشأ إلا حين يوشك المعني الأصلي للعرف في دائرة النسيان . ومن المسلم به أن الأسطورة ليست تفسير لأصل الشعيرة الدينية بالنسبة لمن يؤمن بأنها رواية لبعض الأحداث الحقيقية, وهو مالا يؤمن به أي عالم من علماء الأساطير مهما بلغت جراءته, ولكن رغم ان الأسطورة غير حقيقية , إلا أنها تحتاج إلى تفسير, وكل مبدأ فلسفي وكل مسلمة من المسلمات تتطلب الحث عن تفسيرلها , وهو مالا يتم الا بنظريات تشبيهية متعسفة , بل بالحقائق الواقعية للشعيرة أو العرف الديني الذي تلتصق به الأسطورة , بل الشعيرة الدينية والعرف الموروث »

وإذا كان النص يقدم مجريات تاريخية مبثة ، بشكل هو أقرب للأسطورة منه للتاريخ، فإن تأويل الكتاب المقدس عند فلاسفة اليهود يحاول عقلنة الأحداث المروية نصا ، ففيلون يعتقد أن التوراة ليست سوى تصور قصة النفس في اقترابها و ابتعادها عن الله ، بمقدار اقترابها و ابتعادها عن الجسد . وفي تأويله للفصل الأول من سفر التكوين ، يؤكد أن أول ما خلق الله العقل السماوي الذي يحيا بالعلم و الفضيلة . ثم خلق الله على مثاله عقلا أرضيا يرمز به لآدم ، ثم تفضل عليه بنعمة الإحساس الذي يرمز لحواء . فانقاد العقل للحس واستسلم للشهوة التي يرمز لها بالحية ، ثم تأس النفس على ما فرطت في جنب الله

وتندم . فيجيء نوح الذي يرمز للعدالة ، ويقع الطوفان رمزا للتطهير العام ، فالرمز هو التجلي الحسي و الواضح للمقدّس .

لكن المقدس في النص التوراتي يأخذ أبعادا أخرى ، أبعاد تخرق دائرة الإلهي ، لتنزاح نحو الميثولوجي ، ويتلاقح الوحي بالأسطورة في انجذاب نحو «المقدّس الميثولوجي».

وقد وصف صبري جرجس التوراة في كتابه « التراث اليهودي الصهيوني بأنها «لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التي صيغت في جو أسطوري حافل بالإثارة، مجافٍ للعقل والمنطق ، غاص بالمتناقضات، مشبع بالسخف....». وبديهي أن تتأثر الثقافة اليهودية بالوثنيات السائدة بجوار مملكة يهوذا و إسرائيل ، بل إن هذه الوثنيات دخلت في صلب المقدسات اليهودية و خالطتها ، بما فيها البيت المقدس . فقد « جلس على حكم يهوذا ، بعد موت سليمان ، أكثر من عشرين ملكا كان المرتدون منهم أكثر ممن يعترف بالدين . حتى غدا أهل المملكة وثنيين ، ووضعت الأصنام حتى في البيت المقدس ، وبنيت لها المذابح » .

و معلوم أن كتابة أسفار التوراة إنما بدأت في النفي البابلي . حيث « قام أنبياؤهم أو علماؤهم – و أولهم حزقيال – فأعادوا كتابة الشريعة من جديد ، و ألفوا الأسفار المعروفة بأسمائهم في العهد القديم ، ومع مرور الزمن أدخلوا عليها التعديلات و الأساطير المختلفة » ، فاليهودية تأثرت بالتشكيل الحضاري السامي الوثني ، ودخلت عليها عناصر وثنية حلولية عديدة وجدت طريقها إلى العهد القديم عند تسجيله مثل فكرة الشعب المختار المرتبط بأرض مقدسة ، و التمركز حول ذاته ، وفكرة الميثاق بين الإله وشعب بعينه ، وتزايد الشعائر وخصوصا شعائر الطهارة ، وتداخل العناصر الكونية مع العناصر الدينية في الأعياد الدينية اليهودية ، وتراجع فكرة البعث واهتزاز الأفكار الأخروية ... وهذا « اتجاه وثني حلولي قومي تخصيصي يرى إله اليهود إلها يحل فيهم وحدهم ، فهو مقصور عليهم يحابيهم ويعطف عليهم ويعصف بأعدائهم ، ويرى

اليهود نفسهم شعبا مقدّسا يشغل مركز الكون » ، وفي مطلع سفر التكوين تطالعنا صورة للإله التوراتي بأنه « هو الإله الكوني الأعلى خالق السماء والأرض وكل مظاهر الطبيعة ، الذي خرج من السرمدية ليظهر الكون ويطلق الزمن ، ويدخل مع مخلوقاته في التاريخ.

هذا التصور للألوهة مستمد بشكل رئيسي من المعتقد الفارسي الزردشتي والمعتقد الرافدي » ، لكن هذا الإله سرعان ما تتغير صورته إذ أن « هذه الرؤية الشمولية ما تلبث أن تضيق كلما اقتربت قصة أصول إسرائيل التوراتية مع المدعو تارح وابنه أبرام . ثم يعمل محررو التوراة على تطوير قصتهم في تجاهل تام لتاريخ بقية شعوب المنطقة المشرقية ... ومع ابتداء قصة إسرائيل يتحول الإله الشمولي .. إلى إله محلي ، ويهجر كل شعوب المعمورة لكي يعقد عهدا مع المدعو أبرام وذريته من بعده ، فيعطيهم أرض كنعان مقابل أن يعبدوه وحده من دون بقية الآلهة » ، فالإله اليهودي أله غيور « لا يريد اقتسام شعبه مع أي كان . لهذا السبب ينزع أمته – التي سوف تصبح أمته – من أرض أجدادها ومن الانفعالات والتقاليد العائلية ، بل ومن الألوهيات التي تسكن تلك الأرض» ، وهو إله ذو شخصية باهتة وغامضة وبدون ملامح واضحة ، كما أنه لا يظهر للشخصيات الرئيسية في سفر التكوين أو يحدثهم جهرا أو وحيا ، إلا ليعقد معهم الميثاق أو يجدد هذا الميثاق ، أو يبشرهم بميلاد إعجازي في سن الشيخوخة . كما أنه لا يستن لهم شريعة ولا يوحي بوصايا من أي نوع ، أخلاقية كانت أم طقسية أم تابو ، ولا يبين لهم طريقة ما في العبادة تقربهم إليه . من هنا ، يبدو أولئك الآباء بدون عقيدة واضحة أو دين مؤسس ذي طقوس وعبادات وميثولوجيا تميزه وترسم حدوده وأبعاده الواضحة . ويقوم الإله بزيارة لإبراهيم ومعه اثنان من الأتباع ، « فيجلس تحت الشجرة قرب الخباء ويغسل رجليه لكي يتبرد من حر النهار، ثم يأكل ويشرب مع جماعته من طبيخ سارة زوجة

إبراهيم . فإذا انتهى من ذلك كله تمشى مع إبراهيم الذي قام لتشـيـيع ضيوفه وأسـرّ له بنواياه في تدمير سدوم وعمورية » ، فقد ورد سفر التكوين :

« وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. يُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا. وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟» فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ». فَأَنْكَرَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: «لَمْ أَضْحَكْ». لأَنَّهَا خَافَتْ. فَقَالَ: «لاَ! بَلْ ضَحِكْتِ».

ثُمَّ قَامَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ. فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ». وَقَالَ الرَّبُّ:

«إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ. وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ». وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ. فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ». فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ. رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتُهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟» فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ». فَعَادَ يُكَلِّمُهُ أَيْضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ». فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ». فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ». فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلاَثِينَ». فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عِشْرُونَ». فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ». فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ». فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ». وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ.

ثم إن هذا الإله يتواجه مع يعقوب، حفيد إبراهيم، مواجهة درامية، « حيث يلتحم معه في صراع جسدي طيلة الليل. وعندما لا يستطيع الرب أن يتغلب على يعقوب حتى طلوع الفجر، وكان يعقوب ممسكا به بشدة وإحكام، يطلب منه أن يطلقه قبل أن يتبلج الصبح عليهما « . ورد في التكوين :

« فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي،

أَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ.» 15

ويستمر النص التوراتي في رسم الإله اليهودي ذي الأبعاد الميثولوجية والمتناقضة أحيانا، رسما لا يخلو البتة من ثقافات الشرق القديم . ف « إيل « إله الآباء في سفر التكوين ، له نفس الاسم للإله الأعلى في سورية منذ مطلع عصورها الكتابية ، « إلا أن شخصية هذا الإله التوراتي في عصر الآباء لا تشبه في شيء شخصية الإله السوري المعروف 16، ويرى الدكتور عبد الوهاب المسيري أن اليهودية ترى أن « الإله خلق العالم ، ولكن ما عدا ذلك هو أمر خلافي ، إذ توجد داخل النسق الديني اليهودي عدة صور متناقضة لأصل العالم وبنيته . فالعهد القديم يقدم رؤى عديدة للإله ليست متسقة بالضرورة ، أما التلمود فقد استوعب صورا عديدة من الحضارات المحيطة سواء الوثنية أو الإسلامية أو المسيحية ، ودون كثيرا من الأساطير الشعبية وحولها إلى معتقدات دينية ، فهناك قصة الخلق ، وإلى جانبها أسطورة ليليت . وكذا شجرة المعرفة والخير والشر، وإذا كان هناك يهوه إله العالمين ، فهناك أيضا شريكه عزازيل 17 .

كما أنه لا يوجد في العهد القديم أي تحديد واضح لأركان الإيمان أو أعمدته . وإن كان هذا لا يمنع – حسب عبد الوهاب المسيري – من وجود مفاهيم إيمانية عامة ، مثل الشماع وضرورة الإيمان بوحدانية الإله و الوصايا العشر. ولكن هذه الأفكار الدينية هي جزء من تركيب جيولوجي يضم العديد من الأفكار الأخرى المتناقضة وغير المتجانسة الوثنية و التوحيدية ، فموقف العهد القديم من قضية مثل قضية الأصنام (ترافيم) ينطوي على التقبل في بعض الأجزاء . كما يتحدث العهد القديم عن الإله في صيغة الجمع (إلوهيم) ، وعنه باعتباره إلها ضمن آلهة أخرى ، كما نجد أن ثمة إشارات مستمرة إلى

ملك اليهود بوصفه ابن الله ، كما أن الميثاق الجامع بين الإله والشعب إنما هو ميثاق ملزم للإله بغض النظر عما يقترفه الشعب من ذنوب وآثام وأفعال لا أخلاقية

وأسفار التوراة أخباراً هي للخرافة أقرب منها للأخبار المعقولة، ومن ذلك قصص شمشون الجبار وخصلات شعره التي كانت سبباً في أعاجيبه وقوته وانتصاراته. ومن أعاجيبه أنه بينما هو يمشي « إذ بشبل أسد يزمجر للقائه، فحلـ عليه روح الرب، فشقه كشق الجدي، وليس في يده شيء » ، وهذا الذي حل عليه روح الرب يذكر سفر القضاة **16/1** قصة زناه مع العاهرة الغزية.

وأيضاً لما ربطه قومه وسلموه للفلسطينيين موثقاً « فحل الوثاق عن يديه، ووجد لحي حمار طرياً، فمد يده، وأخذه، وضرب به ألف رجل. فقال شمشـون: بلحيّ حمار كومَةُ كومتين، بلحي حمار قتلت ألف رجل» ، ولا يفوتنا التنبه إلى الملاحظة المهمة التي أراد كاتب السفر تنبيه مسامعنا إليها، وهي أن لحي الحمار الذي قتل به شمشـون هؤلاء كان طرياً. فكيف يكون الحال لو كان قاسـياً. إنها طريقة العجائز في حكاية القصص الأسطورية، ومثل هذه الزيادة هي نوع من عناصر التشويق والإثارة تستخدمها الجدّة وهي تقص قصص ما قبل النوم على أحفادها.

ومن غرائب شمشـون وعجائبه ما صنعه بحقول الفلسـطينيين، حيث أحضر ثلاث مائة من أبناء آوى، وربط ذيول بعضها ببعض، ثم أشعل بها النار، وأطلقها في حقول الفلسطينيين، فأحرقوها انتقاماً من زوجته الفلسـطينية التي هجرته، فكيف جمع هذه الثعالب! وكيف ربطهم! قصة جِدُّ غريبة. إذ ورد في سفر القضاة « وَذَهَبَ شَمْشُونُ وَأَمْسَكَ ثَلاَثَ مِئَةِ ابْنِ آوَى، وَأَخَذَ مَشَاعِلَ وَجَعَلَ ذَنَبًا إِلَى ذَنَبٍ، وَوَضَعَ مَشْعَلاً بَيْنَ كُلِّ ذَنَبَيْنِ فِي الْوَسَطِ، ثُمَّ أَضْرَمَ الْمَشَاعِلَ نَارًا وَأَطْلَقَهَا بَيْنَ زُرُوعِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَأَحْرَقَ الأَكْدَاسَ وَالزَّرْعَ وَكُرُومَ الزَّيْتُونِ » 22

وليس أغرب منها ما صنعه بباب مدينة غزة، حيث « قيل للغزيين: قد أتى شمشون إلى هنا، فأحاطوا به، وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة، فهدؤوا الليل كله قائلين: عند ضوء الصباح نقتله، فاضطجع شمشون إلى نصف الليل، ثم قام في نصف الليل، وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين، وقلعهما مع العارضة، ووضعها على كتفيه، وصعد بها إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون» ، وتكمن قوة شمشون حسب النص التوراتي في خصلات شعره ، حتى إذا ما حلقت ذهبت قوته و أصبح كغيره من الرجال ، ويخبرنا سفر القضاة كيف أن الفلسطينيين تمكنوا منه بعد أن أطلع زوجته على سر قوته . فحلقت خصلات شعره فخارت قواه وتمكن منه عدوه ، فقد ورد في الإصحاح السادس عشر: وَلَمَّا كَانَتْ تُضَايِقُهُ بِكَلاَمِهَا كُلَّ يَوْمٍ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ، ضَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمَوْتِ، فَكَشَفَ لَهَا كُلَّ قَلْبِهِ، وَقَالَ لَهَا: «لَمْ يَعْلُ مُوسَى رَأْسِي لأَنِّي نَذِيرُ اللهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، فَإِنْ حُلِقْتُ تُفَارِقُنِي قُوَّتِي وَأَضْعُفُ وَأَصِيرُ كَأَحَدِ النَّاسِ». وَلَمَّا رَأَتْ دَلِيلَةُ أَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَهَا بِكُلِّ مَا بِقَلْبِهِ، أَرْسَلَتْ فَدَعَتْ أَقْطَابَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَقَالَتِ: «اصْعَدُوا هذِهِ الْمَرَّةَ فَإِنَّهُ قَدْ كَشَفَ لِي كُلَّ قَلْبِهِ». فَصَعِدَ إِلَيْهَا أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَأَصْعَدُوا الْفِضَّةَ بِيَدِهِمْ. وَأَنَامَتْهُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَدَعَتْ رَجُلاً وَحَلَقَتْ سَبْعَ خُصَلِ رَأْسِهِ، وَابْتَدَأَتْ بِإِذْلاَلِهِ، وَفَارَقَتْهُ قُوَّتُهُ. وَقَالَتِ: «الْفِلِسْطِينِيُّونَ عَلَيْكَ يَا شَمْشُونُ». فَانْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: «أَخْرُجُ حَسَبَ كُلِّ مَرَّةٍ وَأَنْتَفِضُ». وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ فَارَقَهُ. فَأَخَذَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَقَلَعُوا عَيْنَيْهِ، وَنَزَلُوا بِهِ إِلَى غَزَّةَ وَأَوْثَقُوهُ بِسَلاَسِلِ نُحَاسٍ. وَكَانَ يَطْحَنُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ. وَابْتَدَأَ شَعْرُ رَأْسِهِ يَنْبُتُ بَعْدَ أَنْ حُلِقَ.

وَأَمَّا أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ فَاجْتَمَعُوا لِيَذْبَحُوا ذَبِيحَةً عَظِيمَةً لِدَاجُونَ إِلهِهِمْ وَيَفْرَحُوا، وَقَالُوا: «قَدْ دَفَعَ إِلهُنَا لِيَدِنَا شَمْشُونَ عَدُوَّنَا». وَلَمَّا رَآهُ الشَّعْبُ مَجَّدُوا إِلهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: «قَدْ دَفَعَ إِلهُنَا لِيَدِنَا عَدُوَّنَا الَّذِي خَرَّبَ أَرْضَنَا وَكَثَّرَ قَتْلاَنَا». وَكَانَ لَمَّا طَابَتْ قُلُوبُهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: «ادْعُوا شَمْشُونَ لِيَلْعَبَ لَنَا». فَدَعَوْا شَمْشُونَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ، فَلَعِبَ أَمَامَهُمْ.

وَأَوْقَفُوهُ بَيْنَ الأَعْمِدَةِ. فَقَالَ شَمْشُونُ لِلْغُلاَمِ الْمَاسِكِ بِيَدِهِ: «دَعْنِي أَلْمِسِ الأَعْمِدَةَ الَّتِي الْبَيْتُ قَائِمٌ عَلَيْهَا لأَسْتَنِدَ عَلَيْهَا». وَكَانَ الْبَيْتُ مَمْلُوءًا رِجَالاً وَنِسَاءً، وَكَانَ هُنَاكَ جَمِيعُ أَقْطَابِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَعَلَى السَّطْحِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل وَامْرَأَةٍ يَنْظُرُونَ لِعْبَ شَمْشُونَ. فَدَعَا شَمْشُونُ الرَّبَّ وَقَالَ: «يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، اذْكُرْنِي وَشَدِّدْنِي يَا اَللهُ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ، فَأَنْتَقِمَ نَقْمَةً وَاحِدَةً عَنْ عَيْنَيَّ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ».وَقَبَضَ شَمْشُونُ عَلَى الْعَمُودَيْنِ الْمُتَوَسِّطَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَ الْبَيْتُ قَائِمًا عَلَيْهِمَا، وَاسْتَنَدَ عَلَيْهِمَا الْوَاحِدِ بِيَمِينِهِ وَالآخَرِ بِيَسَارِهِ. وَقَالَ شَمْشُونُ: «لِتَمُتْ نَفْسِي مَعَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». وَانْحَنَى بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَى الأَقْطَابِ وَعَلَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّذِي فِيهِ. فَكَانَ الْمَوْتَى الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ، أَكْثَرَ مِنَ الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَيَاتِهِ.

كما اعتمد كُتاب الأسفار من اليهود على ثقافات الأمم الوثنية المجاورة لبني إسرائيل، بل كادت بعض سطورهم أن تكون نقلاً حرفياً لما في تلك الكتابات المنقولة عن الأمم الوثنية.

فالكثير من القصص التوراتية نحلها كُتاب العهد القديم من أساطير الأمم السابقة لبني إسرائيل، وظهر صداها واضحاً في أسفار العهد القديم.

ومن ذلك ما ذكره سفر التكوين عن مضاجعة لوط (انظر التكوين 19/30 - 37) والتي انتحلها العهد القديم وكتابه المجهولون من أسطورة مصرية ذكرها شوقي عبد الحكيم في كتابه "أساطير وفلكلور العالم العربي". وتتحدث الأسطورة عن إلهة الموت «أفروديت» التي كانت تتمنى أن تنجب طفلاً من أخيها الأكبر أوزوريس، فأسكرته وضاجعته، فولدت منه الإله أنوبيس.

وأما قصة سفر استير والذي يذكر قصتها وابن عمها مردخاي، حيث يذكر انتقامها من هامان وزير ملك الهند وفارس أحشويرس. فالقصة مشابهة لما جاء في التراث البابلي في ملحمة البابليين والعيلميين، ولكل بطل من أبطال القصة التوراتية مقابل في

الأسطورة البابلية، فاستير اليهودية هي عشتر البابلية، وهامان هو إله العيليميين، ومردخاي هو مردوك البابلي .

ومما يؤكد هذا الاقتباس أن التاريخ الفارسي لا يذكر شيئاً عن أبطال القصة التوراتية وخاصة استير والملكة فشني.

ومما يؤكد أيضا حضور الأساطير البابلية في الثقافة اليهودية عموما ، ما ذهبت إليه موسوعة عالم الأديان من أن الإلهة البابلية عشتار جذبت نساء اليهود ، وقد جاء في سفر إرميا « الأبناء يلتقطون حطبا ، والآباء يوقدون النار. النساء يعجنّ العجين ليصنعن كعكا لملكة السماوات» . وبما أن عشتار كانت إلهة الحب والحرب ، فقد ذكرتها أسفار التوراة بالصفتين ، الأولى حيث توضع أسلحة شاؤول وأبنائه التي غنموها في الحرب في معبد الإلهة ، فقد ورد في سفر صموئيل الأول « ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت وسمروا جسده» ، كما تصور التوراة النبي سليمان أنه كان يقدسها وأنه بنى لها معبدا شرق القدس ، إذ يقول سفر الملوك الأول : « أحب سليمان نساء غريبة كثيرة ، فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب . فذهب سليمان وراء عشتاروت فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل ... لأنهم تركوني وسجدوا لعشتاروت « ، وجاء في سفر الملوك الثاني «المرتفعات التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتاروت »

ويؤكد د. منقذ بن محمود السقار أن المزامير تتشابه مع الأناشيد والتراتيل المصرية وغيرها. فالعالم أرمان في بحثه القيم « مصدر مصري لأمثال سليمان» والذي قدمه عام 1924م تابعه فيه العالم برستيد، يريان بأن المزمور 104 منقول بشكل شبه حرفي من نشيد أخناتون الكبير، وخاصة الفقرات (20-30) .

وهذا ما أكدته دائرة المعارف الكتابية في مادة « المزامير»حيث تقول: «البحث الأركيولوجي في بابل وفي مصر قد كشف عن أناشيد متقدمة.... كما أن الكشف عن

آداب الكنعانيين في أوغاريت.... قد أمدنا بقصائد هامة مشابهة للمزامير منذ عصر موسى كما يرى المحققون أن المزمور التاسع والعشرين مقتبس عن قصيدة من أوغاريت « للبعل » مع استبدال اسم « البعل » باسم « يهوه. وأما المزمور 19 فمقدمته هي عينها الابتهالات التي كانت تقدم لإله الشمس. .

وكذلك يقرر د. عبد الوهاب المسيري أن اليهود تأثروا بقدماء المصريين في مجال العقيدة ، فقد ترك الفكر التوحيدي المصري القديم ، وعبادة إخناتون التوحيدية أثرا واضحا وعميقا في العبرانيين ، وفي رؤيتهم للإله بشكل عام ، كما يتضح هذا الأثر بشكل محدد في المزامير التي وجد الباحثون – أمثال هنري برستيد – فيها أصداء لأناشيد إخناتون الدينية : فالمزمور 94 مستوحى بصورة جلية من نشيد آتون و المزمور104 مأخوذ عن الشمس في عهد إخناتون .

وأما سفر نشيد الإنشاد فيرى ول ديورانت أنه من وضع شعراء عبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي وصلت مع غزو الإسكندر، وقد يكون السفر مأخوذاً من آداب مصرية بدليل أن العاشقين كان يخاطب أحدهما الآخر: أخي. أختي. وهو أسلوب مصري قديم.ويؤكد العالمان أرمان وبرستيد أن سفر الأمثال منقول بشكل فاضح من كتاب « الحكم » لأمنحوبي المصري القديم، وكان قد قسم كتابه إلى ثلاثين فصلاً، واشتهر باسم « ثلاثون فصلاً من الحكمة » ونقل كاتب السفر التوراتي هذه الحكم مع تغيير بسيط .

ويذكر مصطفى محمود في كتابه «التوراة» بعضاً من صور التشابه، إذ يقول أمنحوبي: « الكاتب الماهر في وظيفته سيجد نفسه أهلاً للعمل في رجال البلاط » ويقول سفر الأمثال ناقلاً عنه: « أرأيت رجلاً مجتهداً في عمله إنه يقف أمام الملوك ». وأيضاً يقول أمنحوبي: « لا تصاحب رجلاً حاد الطبع، ولا ترغب في محادثته «، وفي سفر الأمثال: « لا تستصحب غضوباً، ومع رجل ساخط لا تجيء »(الأمثال 22/24) .

وأما سفر الجامعة فلا يمكن أن يصدر من نبي للروح التشاؤمية، والنظرة السوداوية التي تسيطر على كاتبه الذي اقتبس من الأساطير البابلية، ومنها أن الآلهة نصحت جلجامش بقولها: «أي جلجامش، املأ بطنك، وكن مرحاً بالليل والنهار، بالليل والنهار كن مبتهجاً، راضياً، طهر ثيابك، واغسل رأسك بالماء، وألق بالك إلى الصغير الذي يمسك بيدك. واستمتع الزوجة التي تضمها إلى صدرك » .

ويشبه هذا ما جاء في سفر الجامعة وفيه « اذهب. كُل خبزك بفرح، واشرب خمرك بقلب طيب، لأن الله منذ زمان قد رضي عن عملك، لتكن ثيابك في كل حين بيضاء، ولا يعوز رأسك الدهن، إلتذّ عيشاً مع المرأة التي أحببتها » .

كما نقل كتاب التوراة قصة الطوفان من السومريين، وتعود مخطوطاتهم إلى 3000 ق.م، حيث يتشابه العمود الثالث والرابع من اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش كما أوردهما فراس سواح في كتابه « كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش»، حيث جاء في الملحمة: «وما أن لاحت تباشير الصباح، حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء،... اقتلع أريجال الدعائم، ثم أتى ننورتا، وفتح السدود،... بلغت ثورة حدد تخوم السماء، أحالت كل نور إلى ظلمة، والأرض [الفسيحة] قد تحطمت [كما الجرة]، ثارت العاصفة يوماً (كاملاً)، تزايدت سرعاتها حتى حجبت الجبال، أتت على الناس، (حصدتهم) كما الحرب، عميَ الأخ عن أخيه،. وبات أهل السماء لا يرون الأرض، حتى الآلهة ذعرت من هول الطوفان،... ستة أيام وست ليال، الرياح تهب، والعاصفة وسيول المطر تطغى على الأرض .

ومع حلول اليوم السابع. العاصفة والطوفان، التي داهمت كجيش، خفت شدتها، هدأ البحر وسكنت العاصفة وتراجع الطوفان.... واستقرت السفينة على جبل نصير،... أتيت بحمامة وأطلقتها،... طارت الحمامة بعيداً ثم عادت إليّ،... أتيت بغراب وأطلقته،... طار الغراب بعيداً، فلما رأى الماء قد انحسر، حام وحط وأكل. ولم يعد».

وهذه المقتطفات من الملحمة تشبه كثيراً ما جاء في قصة الطوفان في سفر التكوين، حيث جاء فيه: وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ. كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ. وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا «

وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ، وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ. وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ.

وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا 7وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا.

« وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ

عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، لَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا » .

وهي رواية شبيهة بتلك التي نجدها في النصوص السومرية القديمة . إذ تصور ملحمتا (أتراحسيس) و (جلجاميش) الطوفان على أنه عقاب أنزلته الآلهة بالجنس البشري . ولقد ظفر البطل ، وهو إنسان ، في كل ملحمة منهما بالخلود ، وبقي بفضل ما قدمه له الإله « إنكي » وهو الإله « إيا – Ea » من تحذيرات ، وكذلك عن طريق بناء سفينة تهرب عليها عائلات البشر و الحيوانات . إن أوتنابشيم - Utnapishtim الملقب بـ « البعيد » ، وهو الشخص الذي كان يبحث عنه جلجاميش بعد عبوره نهر العالم السفلي . ليعرف منه سر الحياة الأبدية التي وهبتها له الآلهة ، ينبئ جلجامش الذي كان قد عبرلتوه نهر الموت ، كيف هرب من الطوفان ، وكيف استقرت سفينته في النهاية على جبل « نصير – Nisir » ، بعد أن اختبر انحسار الماء بأن أطلق أنواعا من الطيور . أرسل في البداية حمامة لكنها عادت ، ثم أرسل سنونوة ولكنها ما لبثت أن عادت ، ثم جاء بغراب و أطلقه في السماء ، فكان الغراب بعيدا ، و لما رأى الماء قد انحسر أكل و حطّ ولم يعد .

ويرى موريس بوكاي أنه لا يمكن اعتبار الروايات الثلاث للتوراة كما لو كانت حاملة للناس سردا للوقائع مطابقا للحقيقة ، « لأننا لا يسعنا إذا كنا موضوعيين إلا التقرير بأن النصوص التي هي موضع الحديث ، و التي وصلت إلينا لا تعبر عن الحقيقة » .

كما تخللت قصص الأنبياء في التوراة مسحة أسطورية متأثرة في ذلك بثقافات الشرق القديم ، فـ « أساطير سليمان و سميراميس هي أحداث مثالية . سيرتهما تروي

غزو السلطة الدنيوية لشخصيتين خلاقتين للمدن بدأتا ملكهما بجريمتين شعائريتين على غرار«قايين» مؤسس المدنية بامتياز الذي قتل أخاه « هابيل » Abel و« رومولوس »Romulus مؤسس روما الذي قتل « ريموس » Rmus . بدأ ملك سليمان بقتله أخاه البكر« أدونياه » Adoniah ، وملك سميراميس بقتلها زوجها الملك « نينوس » Ninos ، الأمر الذي يسمح لهما بتولي الملك وتحسين الأبنية التي جعلتهما شخصيتين أسطوريتين ، هيكل أورشليم وجنائن بابل . لكن نهايتهما تختلف لأن الصورة التاريخية في القصة لا تدخل في الحالتين من مدخل واحد ، فسليمان يقع في عبادة الأوثان وموته فقط جنبه أن يكون شاهدا على خلاف الأسباط العشرة. أما عن سميراميس ، فإن تجليها كامل . وإذا كانت جيوشها المهزومة في « الأندوس »Indous قد أجبرتها على التخلي عن العرش لابنها ، فإنها لم تمت بل اختفت في السماء متحولة إلى حمامة » .

ويذهب الدكتور عبد الوهاب المسيري إلى أن قصة يوسف ذات أصل مصري ، ويلاحظ فيها وجود لمسات مصرية هنا وهنالك ، ففي سفر التكوين 41/14 يحلق يوسف رأسه قبل المثول أمام الفرعون ، وقد كانت هذه عادة معروفة في مصرولم تكن معروفة عند الساميين ، وقد أثرنظام الكهنوت المصري في نظام الكهنوت اليهودي ، وكذلك في هندسة الهيكل التي تشبه هندسة المعابد المصرية ، كما أثر التراث المصري في بعض مظاهر العبادة الإسرائيلية و العبادة القربانية المركزية مثل تابوت العهد وقدس الأقداس وغيرها...

كما تأثر العبرانيون بحضارة الكنعانيين في كثيرمن المجالات ، فبعض صفات يهوه هي من صفات بعل إله الكنعانيين ، وبعض التحريمات مثل طبخ الجدي في لبن أمه هي عادات كنعانية قديمة ، وكثيرمن الأعياد اليهودية مثل عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المظال ذات أصل كنعاني ، وقد اكتشفت الكتابات الأوجاريتية مدى عمق تأثر الفكر الديني الكنعاني في العبادة الإسرائيلية ، ويرى عبد الوهاب المسيري أن المزمور 29

مأخوذ من نشيد كنعاني وضع أصلا لبعل العاصفة ، وعثر عليه في أوجاريت . كما أن القصص الدينية للأقوام السامية الأخرى مثل الأدوميين ، قد وجدت طريقها إلى الفكر الديني الإسرائيلي ، كما يتضح من سفر أيوب ، ويذكر العهد القديم بعض الشعائر والعقائد التي تم تبنيها ثم استبعدت في مرحلة لاحقة ، مثل التضحية على المذابح و الثعبان النحاسي و مركبات الشمس في الهيكل و العجول الذهبية ، في حين لم تنبذ شعائر أخرى كالتضحية بكبش للمعبود عزازيل .

وقد ذكر عبد الوهاب المسيري نقاط التقاء عديدة بين ما ورد في التوراة و بين عديد الأساطير السومرية و البابلية ، و تشريعات بابلية قديمة . كما يشير صاحب موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، إلى أن تأثر اليهود بالديانات و الحضارات الأخرى لم يتوقف مع العودة من بابل . بل ظل هذا النمط سائدا ، إذ « تأثر اليهود بفكرة الماشيح من التراث الفارسي ، كما دخل على اليهودية كثير من الأفكار الثنوية ، وهو ما أثر في أدب الرؤى و الأفكار الأخروية . و أثر الفكر الهيليني في الفكر الديني اليهودي ، فسفر الجامعة يتضمن رؤية عدمية تشبه من بعض الوجوه الفكرة الإغريقية الخاصة بأن التاريخ مثل الدورات الهندسية المحضة التي تبدأ وتنتهي بلا معنى . بل إن فكرة الشريعة الشفوية نفسها من أصل هيليني ، إذ كان اليونان يرون أن القانون الشفوي أهم و أكثر شرعية من القانون المكتوب . كما أن فكرة (الآدم قدمون) – الإنسان الأزلي – هي خليط من فكر بابلي و فارسي (و قد وردت في كتابات المندائيين) . أما فكرة تهشم الأوعية فهي فكرة أسطورية يونانية وردت في تراتيل أورفيوس ، وتشير إلى « تلوث الأشعة « أو الومضات الإلهية في روح الإنسان أثناء هبوطه بفعل التيتان العشرة المعلقة بين السماوات و الأرض »

ويعترف بأثر هذه الأمم على التوراة المدخل الفرنسي للتوراة، فيقول: « لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يرون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة

مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولاسيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية».

الهوامش

-1 - روبرتسن سميث - محاضرات في ديانة الساميين- ترجمة د/ عبد الوهاب علوب- المجلس الاعلي للثقافة – مصر- 1997

2 - باسمة كيال : أصل الإنسان وسر الوجود ، منشورات دارومكتبة الهلال ، بيروت ، ط01 ، 1983 م ، ص 61 .

3 - أوجينو ترياس : التفكير في الدين – الرمز والمقدّس – ندوة كابري : الدين في عالمنا ، بإشراف جاك د\ريدا وجياني فاتيمو ، ترجمة : محمد الهلالي وحسن العمراني ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط01 ، 2004 ، ص 98 .

4 - د . منقذ بن محمود السقار: هل العهد القديم كلمة الله ، سلسلة الهدى والنور ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، 1423هـ ، ص 39 .

5 - د. عبد الوهاب عبد السلام طويلة : الكتب المقدسة في ميزان التوثيق 6، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط02 ، 1423 هـ / 2002 م ، ص 71 .

6 - المرجع نفسه ، ص -76 77 .

7 - . عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، م 5 ، القاهرة ، 1999 م ، ص 14 .

8 - فراس السواح : الأسطورة والمعنى – دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية – دار علاء الدين ، دمشق ، ط02 ، 2001 ، ص 246.

9 - المرجع السابق ، ص 247 .

10 - فانسينزو فيتيللو: الصحراء الإيتوس والهجر- مساهمة لإنجاز طوبولوجيا المجال الديني - ندوة كابري : الدين في عالمنا ، بإشراف جاك د\ريدا وجياني فاتيمو ، ترجمة : محمد الهلالي وحسن العمراني ، ص 128 .

11 - فراس السواح : الأسطورة والمعنى ، ص 247 .

12 - المرجع نفسه ، ص . ن .

13 - سفر التكوين 18 /-1 33 .

14 - فراس السواح : الأسطورة والمعنى ، ص 248 .

15 - سفر التكوين 32 / 22 – 31 .

16 - فراس السواح : الأسطورة والمعنى ، ص 247 .

17 - د . عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ص 02 .

18 - أنظر سفر الأخبار الأول 17/13 .

19 - راجع : د. عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ص 09.

20- سفر القضاة 14/5 - 6
21 - سفرالقضاة 16-15/14
22 - سفر القضاة 6-15/4.
23 - سفرالقضاة 4-16/2
24 - سفر القضاة 16/ 31-16.
25 - د . منقذ بن محمود السقار: هل العهد القديم كلمة الله ، ، ص 74.
26 - م . ن ، ص . ن
27 - م . ن ، ص . ن .
28 - ينظر: موسوعة عالم الأديان ، مجموعة من كبار الباحثين ، بإشراف ط . بـ . مفرّج ، ج02 ، ديانات المجتمعات السامية القديمة ، نوبليس ، بيروت ، 2004 ، ص 98 – 99 .
29 - سفر إرميا 7: 18، 44 : 19 .
30 - سفر الملوك الأول ، 11 : 1 ، 4 – 5 و33 .
31 - سفر الملوك الثاني 23 / 11 .
32 - د . منقذ بن محمود السقار: هل العهد القديم كلمة الله ، ص 37 .
33 - المرجع نفسه ، ص . ن .
34 - ينظر: د. عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، ص 07 .
35 - د . منقذ بن محمود السقار: هل العهد القديم كلمة الله ، ص 38 .
36 - الأمثال 22/29
37 - د . منقذ بن محمود السقار: هل العهد القديم كلمة الله ، ص 38 ..
38 - المرجع نفسه ، ص . ن .
39 - الجامعة 9/7
40 - د . منقذ بن محمود السقار: هل العهد القديم كلمة الله ، ص 39 .
41 - سفر التكوين 7/ -17 25.
42 - سفر التكوين : 8 / -4 13 .
43 - راجع : جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة : د. إمام عبد الفتاح ، مراجعة : د. عبد الغفارمكاوي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، مايو 1993 ، ص 45 .
44 - موريس بوكاي : التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم ، ترجمة : الشيخ حسن خالد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط03 ، 1411 هـ / 1990م ، ص 58 .

45 - لوك بنوا : إشارات ، رموز وأساطير، تعريب : فايزكم نقش ، عويدات للنشرو الطباعة ، بيروت ، لبنان ط01 ، 2001 ، ص -98 99.

46 - ينظر: د. عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ص 02.

47 - ينظر: المرجع نفسه ، ص 07 .

48 - المرجع نفسه ، ص . ن (بتصرف)

49 - ينظر: المرجع نفسه ، ص . ن

50 - د. عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ص 08 .

51 - د . منقذ بن محمود السقار: هل العهد القديم كلمة الله ، ص 39 .